

## أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكِرَامُ،

## إِخْوَتِي الْأَعْزَاءُ،

يَقُولُ الْمَوْلَى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ۚ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾<sup>1</sup>. وَإِنَّ صِيَامَ رَمَضَانَ يَشْتَمِلُ عَلَى حِكْمٍ وَرَحْمَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ مَادِيَّةٍ وَمَعْنَوِيَّةٍ لِلْمُؤْمِنِينَ. وَتَأْتِي كَلِمَةُ "صَوْمٌ" بِمَعْنَى: اجْتِنَابِ الشَّيْءِ، وَالْإِمْسَاكِ عَنْهُ، وَالْمُحَافَظَةَ عَلَى النَّفْسِ مِنْهُ. وَمَعْنَاهُ الْإِصْطِلَاحِيُّ هُوَ: الْأِمْسَاكُ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالْعَلَاقَةِ الزَّوْجِيَّةِ مِنْ وَقْتِ الْفَجْرِ إِلَى وَقْتِ الْمَغْرِبِ. يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنِ الصَّوْمِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾<sup>2</sup>. وَلَقَدْ أَشَارَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِقَوْلِهِ: "لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ" فِي آخِرِ هَذِهِ الْآيَةِ إِلَى خَاصِيَّةٍ مِنْ أَمِّهِمْ خَصَائِصِ الصَّوْمِ، وَهِيَ خَاصِيَّةُ الْوَقَايَةِ وَالْحِفْظِ. وَكَمَا أَنَّنَا نَحْنُ الْفَاعِلِينَ لِلصَّوْمِ وَالْقَائِمِينَ بِهِ، فَكَذَلِكَ الصَّوْمُ نَفْسُهُ، لَهُ أَفْعَالٌ وَوُظَائِفٌ يَقُومُ بِهَا فِي حَقِّنَا. وَمَا لَمْ يَكُنِ الصَّوْمُ فَاعِلاً لِتِلْكَ الْوُظَائِفِ وَمُنْتَجِاً لِتِلْكَ الْأَثَارِ لَا نَعْتَبِرُ آتِينَ بِالصَّوْمِ كَمَا يَنْبَغِي. فَأَمَّا نَحْنُ، فَحِينَمَا نَأْتِي بِالصَّوْمِ، نُؤْمِسُكَ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالْعَلَاقَةِ الزَّوْجِيَّةِ وَنَبْتَعِدُ عَنْهَا. وَأَمَّا الصَّوْمُ، فَهُوَ يُبْعِدُنَا عَنْ مَنَهَيَّاتٍ أُخْرَى مِثْلَ الْغَيْبَةِ وَالنَّمِيمَةِ وَالْكَذِبِ وَالْكَلامِ الْفَارِغِ. فَإِنْ لَمْ يَكُنْ صَوْمُنَا يُبْعِدُنَا عَنْ مِثْلِ هَذِهِ الْأُمُورِ فِعْلاً، فَإِنَّ ذَلِكَ الصَّوْمَ إِمْسَاكٌ مَحْضٌ وَحِرْمَانٌ مَحْضٌ وَلَيْسَ بِصَوْمٍ حَقِيقَةً. وَلَيْسَ لِصَاحِبِهِ مِنْ ذَلِكَ الْأِمْسَاكِ إِلَّا الْجُوعُ وَالْعَطَشُ. وَقَدْ عَبَّرَ عَنْ هَذِهِ الْحَقِيقَةِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «رُبَّ صَائِمٍ حَظَّهُ مِنْ صِيَامِهِ الْجُوعُ وَالْعَطَشُ، وَرُبَّ قَائِمٍ حَظَّهُ مِنْ قِيَامِهِ السَّهَرُ»<sup>3</sup>.

الْإِمْسَاكُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ يَنْبَغِي أَلَّا يُفْهَمَ عَلَى أَنَّهُ إِمْسَاكٌ عَنْ أَشْيَاءَ فَقَطْ بِمَعْنَى التَّرْكِ وَالْحِرْمَانِ، فَإِنَّهُ فِي الْوَقْتِ ذَاتِهِ إِمْسَاكٌ بِأَشْيَاءَ أُخْرَى بِمَعْنَى التَّمَسُّكِ وَالْإِعْتِصَامِ. إِذْ أَنَّ شَهْرَ رَمَضَانَ هُوَ شَهْرُ الرَّحْمَةِ وَشَهْرُ الْمَغْفِرَةِ وَالْإِحْسَانِ وَهُوَ شَهْرٌ تُوَزَّعُ فِيهِ أَلطَافُ اللَّهِ تَعَالَى بِسَعَةِ. فَمَنْ صَامَ هَذَا الشَّهْرَ وَلَمْ يَنْظُرْ فِي أَخْطَاءِ نَفْسِهِ وَلَمْ يُصَلِّحْهَا وَلَا غَيْرَ شَيْئاً فِي حَيَاتِهِ الْيَوْمِيَّةِ، فَإِنَّهُ لَمْ يُؤْمِسْكَ شَيْئاً مِنْ تِلْكَ الرَّحْمَاتِ وَالْأَلطَافِ وَلَمْ يَدْرِكْهَا، بَلْ كَانَ مَحْرُومًا مِنْ كُلِّ ذَلِكَ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ. يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الصِّيَامُ جَنَّةٌ»<sup>4</sup>. وَيَقُولُ ﷺ فِي حَدِيثٍ آخَرَ: «مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ جَعَلَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ خَنْدَقًا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»<sup>5</sup>.

## أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكِرَامُ،

لَقَدْ أَمَرَنَا اللَّهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْعَلَقِ أَنْ نَسْجُدَ لَهُ وَنَقْتَرِبَ مِنْهُ<sup>6</sup>. وَإِنَّ التَّقَرُّبَ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَالْقُرْبَ مِنْهُ لهُوَ أَرْفَعُ مَنْزِلَةٍ يُمَكِّنُ لِإِنْسَانٍ أَنْ يَنَالَهَا. وَأَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ. فَالصَّلَاةُ لِذَلِكَ عِبَادَةٌ مُهِمَّةٌ تُقَرِّبُ الْعَبْدَ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ. وَالصَّلَاةُ مِعْرَاجُ الْمُؤْمِنِ. وَلَكِنْ لِكَيْ تَرْفَعَ الصَّلَاةُ صَاحِبَهَا لَا بُدَّ مِنْ أَذَائِهَا أَذَاءً تَامًّا بِخُشُوعٍ وَإِخْلَاصٍ. وَقَدْ أَخْبَرَنَا الْقُرْآنُ بِأَنَّ الصَّلَاةَ مِثْلُ الصَّوْمِ، تَنْهَى صَاحِبَهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ<sup>7</sup>. فَلِكَيْ تُحَافِظَ الصَّلَاةَ عَلَيْنَا، وَتُثْمِرَ فِيْنَا تَقْوَى اللَّهِ وَالْمُجَاهِدَةَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْعَدَالَهَ وَالصِّدْقَ، لَا بُدَّ عَلَيْنَا مِنْ أَنْ نَحَافِظَ عَلَى الصَّلَاةِ أَوَّلًا. وَإِلَّا لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ مَجَالٌ لِلْحَدِيثِ عَنْ مِعْرَاجِ الْمُؤْمِنِ بِالصَّلَاةِ. أَسْأَلُ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يَحْفَظَنَا بِالصِّيَامِ وَأَنْ يَرْفَعَنَا بِالصَّلَاةِ، إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ، آمِينَ.



<sup>5</sup> سنن الترمذي، كتاب الجهاد، ٣، الحديث رقم (١٦٢٤)

<sup>6</sup> سورة العلق: ١٩

<sup>7</sup> سورة العنكبوت: ٤٥

<sup>1</sup> سورة البقرة: ١٨٥

<sup>2</sup> سورة البقرة: ١٨٣

<sup>3</sup> سنن ابن ماجه، كتاب الصوم، ٢١

<sup>4</sup> صحيح البخاري، كتاب الصوم، ٢؛ صحيح مسلم، كتاب الصيام، ١٦٣؛ سنن أبي داود، كتاب الصوم، ٢٥